

ç × òø ~ û ø
° ¥ , å ì) ¥ × «
h % ^} h % ^ a % ^ h f % 0

ˆ f × øø

A z Ö° f € ß j × ~ ×

P-ISSN 1658-872X
E-ISSN 1658-8568
رقم الإيداع: 1442/3597

ϕ × òø ~ û ø
° ¥ , à ì) ¥ × « ¥ ϕ Ø»
h % ^} h % ^ a0% ^hf %

أ.د. أحمد بن يحيى آل فائع : h h ^ j 4 h
أ.د. عبد العزيز محمد رمضان : h h h f
أ.د. مصطفى محمد قنديل زايد : h h 4
أ.د. علي بن حسين صميلى
د. حسن بن يحيى الشوكاني
د. علي بن عوض آل قطب عسيري

معالي أ.د. إسماعيل بن محمد البشري (جامعة الجوف سابقاً) : h % 7 ^ 4 ^
معالي أ.د. سعيد بن عمر آل عمر (جامعة الحدود الشمالية سابقاً)
أ.د. عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش (جامعة أم القرى)
أ.د. عبد العزيز بن صالح الهلابي (جامعة الملك سعود)
أ.د. سليمان بن عبد الرحمن الذيب (جامعة الملك سعود)
أ.د. مسفر بن سعد الخثعمي (جامعة بيشة)
أ.د. عبد العزيز بن راشد السنيدي (جامعة القصيم)
أ.د. غيثان بن علي جريس (جامعة الملك خالد)
أ.د. محمد بن منصور حاوي (جامعة الملك خالد)

: a 8 ^ h ^

- تُوجه المراسلات لرئيس تحرير المجلة على العنوان الآتي: المملكة العربية السعودية، أبها، جامعة الملك خالد، كرسى الملك خالد للبحث العلمي. فاكس: 072289241، هاتف 072289241، بريد إلكتروني jhc@kku.edu.sa

IS ^ n } h

تُرسل البحوث عبر الموقع الإلكتروني للمجلة [/https://itcsvc.kku.edu.sa/KKU_ScientificJournals](https://itcsvc.kku.edu.sa/KKU_ScientificJournals) وفق الشروط الآتية: -

- عدم تعارض المادة العلمية مع أحكام الشريعة الإسلامية وأنظمة الدولة.
- تقبل المجلة البحوث والدراسات في مختلف التخصصات التاريخية والحضارية.
- يراعى في البحث الأصالة والجدة والجودة في الفكرة والأسلوب والمنهج والتوثيق العلمي والخلو من الأخطاء العلمية واللغوية.
- أن تتضمن ورقة الغلاف باللغتين العربية والإنجليزية: عنوان البحث، واسم الباحث، ولقبه العلمي، وتخصصه، وبريده الإلكتروني، فضلاً عن ملخص البحث (بما لا يزيد عن 200 كلمة) وكلماته المفتاحية باللغتين العربية والإنجليزية.
- يُرسل البحث باللغة العربية أو باللغة الإنجليزية عبر موقع المجلة في نسخة (A4) word، على ألا تتضمن أية بيانات دالة على هوية الباحث، وألا تزيد صفحات البحث عن (50) ورقة تشمل الجداول والمراجع والملاحق.
- كتابة البحث باستخدام نظام متوافق مع أنظمة الحاسب الآلي، على أن يكون نوع الخط عربيًا تقليديًا Traditional Arabic والبنط (18) للعناوين الرئيسية للبحث، و (16) لمتن البحث، و(14) للهوامش.
- أن تكون طريقة التوثيق في نهاية البحث وفق منهج البحث العلمي المتبع، على أن يتم التعريف بالمصدر كاملاً عند ذكره أول مرة، وغير مطلوب إلحاق قائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث.
- يسمح بالتوثيق من المواقع الإلكترونية وفق الشروط والطرائق المنظمة لذلك.
- عند قبول البحث للنشر في المجلة يُرود الباحث بخطاب رسمي محتوم بالموافقة على النشر.

- تُنشر نسخة الكترونية من أعداد المجلة على موقعها الإلكتروني.
- يتم ترتيب محتويات المجلة وفقاً لاعتبارات فنية.
- كل ما يُنشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه، ولا يُعد تمثيلاً لوجهة نظر المجلة.

ff ^ a % }

زالمحتويات
طتصدير العدد

b } ^

- موضي بنت عبد الله السرحان: الملامح الاقتصادية لمكة من خلال رحلة ابن جُبَيْر "نذكرة
- بالأخبار عن اتفاقات الأسفار (579هـ / 1182م)
- عيبر حسين مقبل الطويهر: العلاقة بين الكامل محمد والمعظم عيسى بين الوفاق
- والاختلاف (615-624هـ / 1218-1227م)
- 83- سامي بن سعد المخيزم: الأمير المستقر في دولة سلاطين الماليك (648-923هـ/
..... (1250-1517م)

ff ^ h f

يطيب هيئة تحرير "مجلة جامعة الملك خالد للدراسات التاريخية والحضارية" أن تقدم للقارئ الكريم عددها العاشر (العدد الثاني من المجلد الرابع/ أبريل 2023م) الذي يحوي بين جنباته بحوثاً تتسم بالعمق والجِدَّة والأصالة، وللمجموعة متميزة من الباحثين المتخصصين في مختلف حقب التاريخ والمنتسبين إلى جامعات المملكة العربية السعودية. ويُجسد هذا العدد عمل هيئة التحرير المستمر والدؤوب لتحقيق الرؤية والرسالة اللتين تطمح إلى تحقيقهما المجلة بهدف الارتقاء بها إلى مصاف المجلات العلمية المتميزة والمعتمدة في أفضل التصنيفات.

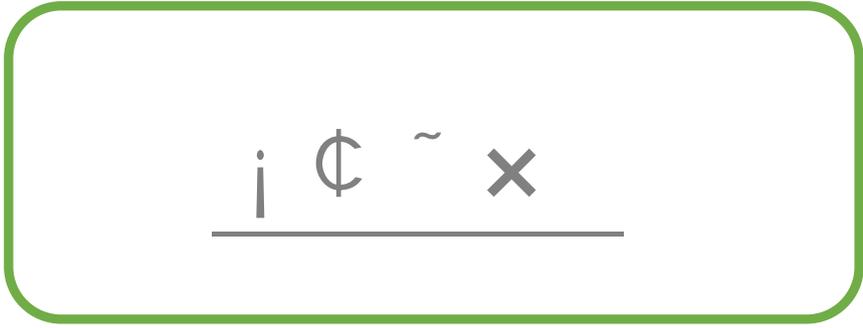
والتزاماً من هيئة التحرير للباحث والقارئ الكريم بمبدأ العمل المستمر في إصدار الأعداد؛ فإن العمل جارٍ على تحكيم بحوث العدد الثالث من المجلد الرابع (يوليو 2023م) ومراجعتها تمهيداً للنشر في الموعد المحدد.

وأخيراً؛ تسعدُ هيئة تحرير المجلة بتلقي الملحوظات والمقترحات التي سوف تُسهم في تحسين إخراج المجلة ومحتواها، وتصل بها إلى ما تترجيه من مكانة علمية عالمية مرموقة، وذلك على بريدها الإلكتروني:

jhc@kku.edu.sa

h h j ^4 h

- 4 % y Y 0 Q Z f Z G f



}

الملاحم الاقتصادية لمكة من خلال رحلة ابن جُبَيْر "تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار"

á / ð ë

د. موضي بنت عبد الله السرحان

جامعة الملك سعود – السعودية

المستخلص:

احتلت الرحلة مكانةً كبيرةً في الأدب العربي والإسلامي، لما عكسته من أهمية مصدرية لا غنى عنها لمن يخوض غمار البحث في التراث العربي الإسلامي، إذ احتوت على معلومات ومعارف وحقائق غاية في الأهمية سيما لمن يتصدى لبحث موضوعات في الجانب الحضاري بأقسامه المختلفة، الاقتصادي والاجتماعي والثقافي. ومن هذا المنطلق سوف يتناول هذا البحث بعض الملحوظات الاقتصادية التي أباها ابن جبير الكناني في رحلته إلى مكة في صيف عام 579هـ/1183م، فدخلها في 13 ربيع الآخر سنة 579هـ الموافق 4 أغسطس 1183م، إذ أهَّلته بصيرته النافذة الناقدة، وحسه الأدبي والثقافي الموسوعي، فضلاً عن أن المدة التي قضاها في مكة تجاوزت ثمانية أشهر، لتكون رحلته من أوائل المصادر التي يمكن أن نستقي منها مادة خصبة عن النشاط الاقتصادي في مكة خلال العقود الأخيرة من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي. يناقش هذا البحث مفهوم الرحلة ومكانتها في الأدب العربي، ثم يعرج بالتعريف بابن جبير الكناني ورحلته التي دوَّنها في كتابه "تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار"، ثم الولوج إلى الملحوظات الاقتصادية القيمة التي أباها ابن جبير أثناء إقامته في مكة من الناحية التجارية والصناعية والزراعية، من حيث أنواع السلع المتوفرة، وأسعارها، وقيمة العملة، فضلاً عن المزروعات من البساتين والمحاصيل، وطبيعة الأرض الزراعية ووسائل الري، فضلاً عن الحرف الصناعية وأصحابها.

الكلمات المفتاحية: ابن جبير، مكة، التجارة، الزراعة، الأسعار، السلع، العملة النقدية.

الملامح الاقتصادية لمكة من خلال رحلة ابن جُبَيْر "تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار" 579 هـ/1182م
د. موضي بنت عبد الله السرحان

Economic features of Makkah in the Travels of Ibn Jubayr

“Tazkirah bil Akhbār ‘an Itfāqāt al-Asfār”

579 AH / 1182 AD

Dr. Mody Abdullah Al-Sarhan
King Saud University – Saudi Arabia

Abstract

Travels’ writing occupied a great place in Arabic and Islamic literature, as it reflected the importance of an indispensable source for those who engage in research in the Arab-Islamic heritage, as it contained information, knowledge and facts of great importance, especially for those who deal with topics in the civilizational aspect in its various sections, economic, social and cultural. From this point of view, this research will address some of the economic observations made by Ibn Jubayr al-Kinani during his Travel to the Mecca in the summer of 579 AH. One of the first sources from which we can derive fertile material about economic activity in Mecca during the last decades of the sixth century AH / twelfth century AD.

This research discusses the concept of the travels and its place in Arabic literature, and then introduces Ibn Jubayr al-Kinani and his travel that he wrote in his book "Tazkirah bil Akhbār ‘an Itfāqāt al-Asfār", then access to the valuable economic notes made by Ibn Jubayr during his stay in the Hijaz in terms of commercial, industrial and agricultural terms, from Where the types of commodities available, their prices, the value of the currency, as well as the crops of orchards and crops, the nature of agricultural land and the means of irrigation, as well as the industrial crafts and their owners.

Keywords: Ibn Jubayr, Makkah, Trade, Agriculture, Prices, Goods, Currency

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد، فإن أدب الرحلات أحد الألوان الأدبية المهمة في التراث العربي الإسلامي، وذلك لاحتوائه على مضامين ذات فائدة كبيرة لأكثر من تخصص وحقل معرفي، فشكّلت مادته الخصبة مجالاً للدراسة والرصد من الكثير من الباحثين في العلوم والمناهج المختلفة.

والأدب في مفهومه العام لا يقتصر فقط على فنون الشعر والنثر، بل يتعدى ذلك إلى مجمل الأعمال المكتوبة، فصار يشمل أصول فن الكتابة، والعناية بالآثار الخطية والنثرية والشعرية، وأصبح معبراً عن أحوال المجتمعات البشرية، ومبيّناً بدقة وأمانة عن التفاعلات الاجتماعية التي تتمتع بها نفوس أبناء ومجتمعات الحضارات الإنسانية على اختلاف بيئاتها وأنواعها⁽¹⁾.

وليس من الجديد القول إن منهج البحث التاريخي ينهض - قبل كل شيء - على قوة وأصالة المصدر الذي يعتمد عليه الباحث في أخذ مادته التاريخية، هذه القوة التي يكتسبها من معانيته الحدث مشاهدة ومشاركة، وفي ذلك يقول أبو الريحان البيروني: "إنما صدق قولُ القائل: ليس الخبر كالعيان، لأن العيان هو إدراك عين الناظر عين المنظور إليه في زمان وجوده وفي مكان حصوله"⁽²⁾، وهذا الذي يجعل أدب الرحلة في قمة أولويات الباحث التاريخي عند استقاء مادته العلمية.

وقد اتسمت طبيعة الإنسان العربي منذ القدم بمجولة على حب الارتحال والتعلق به، ولم يكن هذا التعلق نابغاً من حاجة ملحة إلى الأمن الاقتصادي والسياسي، ولا تلبية لمعتقد أو مذهب، بل وعياً بأهمية الرحلة في تغيير النمط الحياتي المعتاد الذي يولد له أحياناً الملل وضيق النفس، ولم يكن علاجها بالنسبة إليه سوى في امتطاء ظهر ناقته والانطلاق بها في فجاج الأرض، فيقول طرفة ابن العبد- في هذا الشأن-:

وإيّ لأمضي همّ عند احتضاره
بعوجاء مرقالٍ تروخ وتعتدي⁽³⁾

وإضافة إلى تجذّر فنّ الترحال في حياة الإنسان العربي، جاء الإسلام ليؤكد على قيمة وأهمية الرحلة يعد أن فتح أمامها آفاقاً رحبة وجديدة، فظهرت الرحلة إلى الحج والعمرة، والرحلة إلى طلب العلم الشرعي، كالحديث والتفسير والفقه، إلى غير ذلك من آفاق.

ضمن هذا الإطار جاءت رحلة محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، والتي ذهب فيها إلى الحج بدءاً من مدينة غرناطة الأندلسية في يوم الخميس 8 شوال 578هـ/3 فبراير 1082م، ومروراً بمدن سبتة والإسكندرية والقاهرة وقوص⁽⁴⁾ وعيذاب⁽⁵⁾، وصولاً إلى مدينة جدة التي دخلها في فصل الصيف 11 ربيع الآخر 579هـ/أغسطس 1183م⁽⁶⁾.

سوف نناقش في هذا البحث الملاحظات الاقتصادية التي أبداها ابن جبير أثناء مقامه في مكة من خلال ما دوّنه في رحلته: "تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار"، وذلك في ضوء مجموعة من المحاور،

يسبقها مدخل للتعريف بالرحلة ومؤلفها، فال محور الأول سيتناول ملاحظات ابن جبير المتعلقة بالنشاط التجاري ودلالاتها، وال محور الثاني يستعرض الملحوظات المتعلقة بالنشاط الزراعي ودلالاتها، وال محور الثالث يعرض الملاحظات المتعلقة بالنشاط الصناعي والحرفي ودلالاتها.

أولاً. التعريف بابن جُبَيْر ورحلته:

هو محمد بن أحمد بن جبير بن محمد بن جبير الكناني⁽⁷⁾، دخل جده الرابع عشر، وهو عبد السلام بن مروان، إلى الأندلس في حملة بلج بن بشر القشيري⁽⁸⁾. وتكنى بأبي الحسن نسبة لولده الأكبر الحسن، والبعض كناه كذلك بأبي الحسين⁽⁹⁾. ونال ابن جبير عدة ألقاب منها الكناني⁽¹⁰⁾، نسبة إلى قبيلته كنانة، وبالأندلسي⁽¹¹⁾ لأنه ولد وسكن بالأندلس، كما لقب بالشاطبي⁽¹²⁾، لأنه رحل إليها وأخذ علومه على يد مشايخها وعلمائها⁽¹³⁾، ولقب بالبلنسي، لأنه ولد ونشأ في مدينة بَلَنْسِيَّة⁽¹⁴⁾، وأخيراً لقب بالإمام الرئيس لحذاقته وعلمه الواسع⁽¹⁵⁾.

اختلف المؤرخون في السنة التي ولد فيها ابن جبير، ف قيل في سنة 539 هـ/1144م⁽¹⁶⁾، وقيل في سنة 540 هـ/1145م⁽¹⁷⁾، ولكن، على أية حال، فإن الفارق بين السنتين ليس كبيراً، ومن ثم فمن الجائز أن تكون ولادته بين السنتين السابقتين، أي في نهاية سنة 539 هـ/1144م، وبداية سنة 540 هـ/1145م. حظيت نشأة ابن جبير برعاية علمية وأدبية مميزة، إذ إن والده أحد أعيان مدينة بلنسية وأبرز كتّابها، فتلقى العلم عنه وعن علماء عصره بشاطبة، فعُني به تعليماً وتأديماً، وبرع في صناعة الكتابة على أثر أبيه⁽¹⁸⁾.

سكن ابن جبير مدينة غرناطة⁽¹⁹⁾، وأصبح كاتباً لدى حاكمها السيد أبي سعيد عثمان بن عبدالمؤمن⁽²⁰⁾، أحد حكام الدولة الموحدية في المغرب والأندلس، وتمتع بمكانة عالية لديه، لسعة علمه وقدرته على نظم الشعر والنثر⁽²¹⁾، إذ أضحى ابن جبير: "أديباً بارعاً وشاعراً مجيداً، نزيه الهممة سري النفس كريم الأخلاق، أنيق الخط، ذا نظم ونثر بديع سهل حسن، محاسنه عديدة ذائع الصيت ومشهوراً بالخير والصلاح"⁽²²⁾.

وعلى الرغم من المواهب الكثيرة التي تمتع بها ابن جبير، في الأدب والشعر والكتابة، فإن مبدأ شهرته جاء من رحلته الشهيرة التي دوّنها في كتابه "تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار"، والتي استغرقت أكثر من العامين، بدأ فيها بالطريق البحري من مدينة غرناطة في يوم الخميس الثامن من شهر شوال سنة 578 هـ/فبراير 1183م، وكان منتهاهما حين عاد إلى الأندلس في الثاني والعشرين من شهر المحرم سنة 581 هـ/24 أبريل 1185م⁽²³⁾.

ولا شك أن النص الأدبي الذي تركه لنا ابن جبير عن رحلته الأولى، هو نص نفيس في بابه، لا غنى عنه للمؤرخ، ولاقى اهتماماً من المستشرقين، فترجم القسم الخاص بصقلية إلى اللغة الفرنسية وطبع في سنة 1280هـ/1864م، وطبع النص كاملاً لأول مرة في ليدن سنة 1268هـ/1852م، مع مقدمة للمستشرق رايت، ثم أعيد طبعه هناك أيضاً في سنة 1324هـ/1907م⁽²⁴⁾.

ومن أبرز المستشرقين الذين اعتنوا بابن جبير ورحلته هو المستشرق الروسي كراتشكوفسكي، إذ تمثل ترجمته لابن جبير أوسع التراجم الحديثة له، حيث قدم تقييماً مهماً لرحلته، كما ذكر أن مصنف ابن جبير "مصنف رفيع الأسلوب يحتتم بجدارة حلقة الجغرافيين الأندلسيين لهذا العصر"⁽²⁵⁾.

عشق ابن جبير الترحال، وقام على مدى خمسة وثلاثين عامًا بثلاث رحلات إلى المشرق، الأولى التي ذكرها آنفًا، وعمره حينها تسع وثلاثين سنة. أما رحلته الثانية فدفعه إليها أبناء استرداد بيت المقدس من أيدي الصليبيين على يد السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة 583هـ/1187م، فشرع في القيام بهذه الرحلة في سنة 585هـ/1189م، وانتهى منها في العام التالي، وكان عمره آنذاك أربعين عامًا. كما جاءت رحلته الثالثة بعد وفاة زوجته التي كان أثيرة لديه، إذ بدأ رحلته من مدينة سبته متجهًا إلى مكة، التي ظل بها فترة من الزمن، ثم غادرتها إلى بيت المقدس ومنها إلى القاهرة ثم إلى الإسكندرية، وقام يحدث بها إلى أن توفي بها في يوم الأربعاء السابع والعشرين من شعبان سنة 614هـ/1217م، وبلغ من العمر حينها أربعة وسبعين عامًا⁽²⁶⁾.

ثانيًا. النشاط الزراعي في مكة:

شكلت ملحوظات ابن جبير للأنشطة السكانية المختلفة في مكة أهمية كبرى، سيما في النشاط الزراعي وحالة الإنتاج هناك، فمن المعروف أن مكة ومحيطها، تعد فقيرة نسبيًا في المجال الزراعي، بسبب عدم توفر المقومات الأساسية للزراعة النشطة أو المتسعة هناك، ولكن هذا لا يعني عدم وجود الزراعة بالكلية، بل ما ذكره ابن جبير يؤكد على وجود مستوى مقبول من الزراعات التي كانت ضرورية لحاجة السكان.

لاحظ ابن جبير كثرة الفاكهة التي كانت تجبي إلى مكة من كل مكان، مصداقًا لقول الله تعالى: "فَأَجْعَلْ آفِدَّةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارزُقَهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ"⁽²⁷⁾ كما أشار كذلك عما يحيط بها من مناطق زراعية، فذكر أنها كانت تنعم بالفواكه مثل التين، والعنب والرمان، والسفرجل، والخبوخ، والأترج، والجوز، والمثقل⁽²⁸⁾، والبطيخ، والثقاء، والخيار، والبادنجان، واليقطين، والسُلجم (اللفت)، والجزر، والكرنب، هذا إلى جانب المزروعات الخاصة كالرياحين والعطور⁽²⁹⁾.

وبالتالي فإن ابن جبير لاحظ أن مكة نفسها اعتمدت عمًا حولها من بيئات زراعية نتيجة فقرها الزراعي، حيث اشتهرت الطائف بزراعة العنب وبساتين الفاكهة، كما عرفت بزراعتها لكثير من النخيل

والموز، إضافة إلى شهرتها بصناعة الزبيب المعروف بحسنه وتجهيزه إلى سائر البلاد، فكانت أكثر فاكهة مكة تجلب إليها من القرى التي تتوزع حولها⁽³⁰⁾. وكذلك الرطب، الذي أطنب ابن جبير في وصفه فقال: "ومن أغرب ما ألقيناه فاستمتعنا بأكله وأجرينا الحديث باستطابته، ولا سيما لكوننا لم نعهده، الرُّطْب، وهو عندهم بمنزلة التين الأخضر في شجره، يُجنى ويؤكل، وهو في نهاية من الطيب واللذادة، لا يُسَام التفكُّه به"⁽³¹⁾.

ومثلت الطائف أبرز المدن التي أمدت مكة بالفواكه والمزروعات، وتقع على مسيرة ثلاثة أيام منها، وذكر ابن جبير أن أقرب المواضع التابعة للطائف قرب مكة هو موضع يُعرف بأدُم، وهو على بُعد مسيرة يوم أو يزيد قليلاً، وهو من بطن الطائف، ويحتوي على قرى كثيرة⁽³²⁾.

وذكر كذلك ما يُجلب إلى مكة من بطن مَرّ، وهي على مسيرة يوم أو أقل، ومن نَحْلَة، وهي على مثل هذه المسافة، وما يأتي من أودية بقرب من البلد كعين سليمان وسواها⁽³³⁾.

كما لاحظ ابن جبير أيضاً طيب طعم البطيخ والسفرجل، فيذكر أن البطيخ فيها له خاصية مميزة عن غيره، وذلك أن له رائحة عطرة طيبة، فعندما يدخل به الداخل عليك: "فتجد رائحته العبقرة قد سبقت إليك"، لدرجة أن رائحته أحياناً تشغلك عن أكله، حتى إذا ذقته، حُيِّل إليك أنه مُذاب بسكر أو عسل، ويحتم وصفه بقوله: "ولعل متصفح هذه الأحرف يظن أن في الوصف بعض غلو، كلا لعمرُ الله! إنه لأكثر مما وصفت وفوق ما قلت"⁽³⁴⁾.

تحدث ابن جبير أيضاً عن طريقة قطف أهل مكة وما حولها للثمار وجمعها، حيث لاحظ أن هناك نوعاً من التشابه بينهم وبين أهل المغرب في ذلك، فخرجهم إلى ضيعة الرطب مثل خروج أهل المغرب إلى قراهم في أيام نضج التين والعنب⁽³⁵⁾.

وفي حديث ابن جبير عن مراعي الحجاز عموماً وطيب نباتها، انعكاس في حديثه عن طيب لحوم الضأن بها، فقد ذكر أن كل من طاف البلدان المختلفة ليقطع بالقول إن أفضل لحم يؤكل في الدنيا هو لحوم الضأن في الحجاز، وذكر أن ذلك بسبب طيب وبركة مراعيها. فعلى الرغم من إفراط الدسم والسمن به، فإنه يختلف عن غيره فيما سواه، "فكلما ازداد سمناً؛ زادت النفوس فيه رغبة والنفس له قبولاً، فتجده هنيئاً رخصاً، يدوب في الفم قبل أن يُلاك مضعاً، ويسرع لحفته عن المعدة انضماماً. وما أرى ذلك إلا من الخواص الغربية، وبركة البلد الأمين، قد تكفلت بطيبه لا شكّ فيه"⁽³⁶⁾.

أما عن الأيدي العاملة في الزراعة، لاحظ ابن جبير أن هناك بعض المغاربة⁽³⁷⁾ الذين كانت لهم دراية بالفلاحة والزراعة يعملون في بعض الجهات التي حول مكة، التي استحدثوا فيها بعض الزراعات والبساتين، مما أدى إلى زيادة خصوبة وإنتاج هذه الجهات⁽³⁸⁾. فيقول: "قد جلب الله إليها -أي مكة- من المغاربة

ذوي البصارة بالفلاحة والزراعة فأحدثوا فيها بساتين ومزارع، فكانوا أحد الأسباب في خصب هذه الجهات، وذلك بفضل الله عز وجل، وكريم اعتنائه بحرمه الكريم، وبلده الأمين⁽³⁹⁾.

أما عن نظام الري الذي ساد في مكة وما حولها؛ فيعتمد في الأساس على الآبار والعيون، إذ لاحظ ابن جبير أن السبب في انتعاش الزراعة هو وجود الأودية وانتشارها، فكانت بمثابة الوعاء الطبيعي لحمل واستيعاب مياه الأمطار، وبالتالي يمكن الاستفادة منها في ري المزروعات والبساتين، ومن هذه الأودية، وادي مَرَّ⁽⁴⁰⁾، وهو من أودية الحجاز بالقرب من عُشْفَان⁽⁴¹⁾، وهي قرية عظيمة، كثيرة السكان، حسنة المنازل، ويكثر فيها زراعة النخيل، وفيها بركة⁽⁴²⁾ يجري الماء منها، أما بطن وادي مر، فهو متسع يحوي الكثير من القرى والعيون، وهي عيون فوارة سيالة يُستسقى منها⁽⁴³⁾.

وتنتشر العيون في الطريق من مكة إلى المدينة، والتي يمتد بعضها تحت الأرض، وخاصة في وادي الصفراء، وبين الخندق والمدينة العين المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى هذه العين إطار عظيم مستطيل، ومنبع العين يوجد في الوسط⁽⁴⁴⁾.

ولاحظ ابن جبير وجود صهاريج⁽⁴⁵⁾ لتخزين المياه، وهي عبارة عن حياض كبيرة يجتمع فيها المياه، والهدف من بنائها الاستفادة من السيول التي تصيب المدن، فيقول: "واختطاط صهاريج للماء، ووضع جباب في الطرق يستقرّ فيها ماء المطر"⁽⁴⁶⁾.

ومما يميز هذه الصهاريج صغر حجمها، ولها اتصال بمصاب خاصة للماء لسقي الناس⁽⁴⁷⁾، وفي وصف ابن جبير لمزدلفة يقول: "مزدلفة بسيط من الأرض فسيح بين جبلين وحوله مصانع وصهاريج كانت للماء في زمان زبيدة"⁽⁴⁸⁾.

ووصف ابن جبير حُلَيْص بالأرض السهلية، كثيرة النخيل، وبها عين فوارة، أحدثت لها أخاديد في الأرض مُسَرَّبة يُستسقى منها على أفواه كالأبار، ويجدد الناس بها الماء الذي معهم⁽⁴⁹⁾.

أما وادي العروس⁽⁵⁰⁾، فهو من الأودية المهمة التي قابلها ابن جبير بعد خروجه من المدينة متجهًا إلى العراق، فيقول إن الناس تزودوا من مائه الوفير، وينبع فيها بئر به ماء عذب معين "يروى الأمة التي لا يحصى لها عدد من هذه الحلة مع جمالها التي تنيّف على عددها، والله القدرة سبحانه"⁽⁵¹⁾.

ومن ملاحظات ابن جبير أيضًا المتعلقة بالماء في الحجاز، ما شاهده في فَيْد⁽⁵²⁾، حيث ذكر أنها حصن كبير مشرف على أرض منسبطة، يمتد حوله رَيْض، ويُحيط بها سور عتيق البنيان، وأن الماء فيها وفير موجود في مصانع كثيرة، اجتمع فيها ماء الأمطار، كما أن هناك آبارًا تمدّها عيون تحت الأرض⁽⁵³⁾.

ويستنتج من حديث ابن جبير عن النشاط الزراعي في مكة، أنه ركز على ذكر الموارد المائية في مكة وما حولها من المدن والأودية، وأبرز المحاصيل والمنتجات الزراعية التي تُزرع فيها، وطريقة ومستوى الفلاحة فيها، وكيف مثلت هذه الأماكن المصدر الأول لحاجة مكة من المنتجات الزراعية خاصة في موسم الحج والعمرة.

ثالثاً. النشاط التجاري في مكة:

مثل النشاط التجاري أبرز الأنشطة الاقتصادية في الحجاز عموماً، ومكة على وجه الخصوص، حيث إن الكثير من السلع التي يحتاجها أهل مكة تصل إليهم من خارجها عبر التجارة، هذا إلى جانب موسم الحج والعمرة الذي جعل النشاط التجاري نشاطاً رائجاً طوال العام، لتلبية حاجة الحاج والمعتمر، وهذا ما عكسه ابن جبير في ملحوظاته، فكثيراً ما نجده يتحدث عن عظم حجم البضائع والسلع التي تعج بها الأسواق في مكة، بل اندهش أكثر من هذا التنوع الفريد الذي اتسمت به أسواق مكة في موسم الحج، ووجود بضائع من جميع الآفاق. ويُعلّل ذلك بأن: "متاجرها هي ملتقى الصادر والوارد ممن بلغته الدعوة المباركة، والثمرات تُجنى إليها من كل مكان، فهي أكثر البلاد نعماً وفواكه ومنافع ومرافق ومتاجر، ولو لم يكن لها من المتاجر إلا أوان الموسم، ففيه مُجتمع أهل المشرق والمغرب"⁽⁵⁴⁾.

وهنا يورد ابن جبير نصاً بالغ الأهمية، يرصد فيه حجم السلع والبضائع وأنواعها وأماكن استيرادها، والمتوفرة في أسواق مكة فيقول: "فبياع فيها -أي أسواق مكة- في يوم واحد، فضلاً عما يتبعه، من الذخائر النفيسة: كالجواهر، والياقوت، وسائر الأحجار، ومن أنواع الطيب: كالمسك، والكافور، والعنبر، والعود، والعقاقير الهندية، إلى غير ذلك من جلب الهند والحبشة، إلى الأمتعة العراقية واليمانية، إلى غير ذلك من السلع الخراسانية، والبضائع المغربية، إلى ما لا ينحصر ولا ينضب، ما لو فُرق على البلاد كلها لأقام لها الأسواق النافقة ولعمم جمعها بالمنفعة التجارية. كل ذلك في ثمانية أيام بعد الموسم، حاشا ما يطراً بها مع طول الأيام من اليمن وسواها، فما على الأرض سلعة من السلع، ولا ذخيرة من الذخائر إلا وهي موجودة فيها مدة الموسم، فهذه بركة لا خفاء بها وآية من آياتها التي خصها الله بها"⁽⁵⁵⁾.

أشار ابن جبير في النص السابق إلى السلع والبضائع المصنعة، أي السلع غير الغذائية، أما عن السلع الغذائية من فواكه وخضروات ومحاصيل على اختلاف أنواعها، فأفرد لها نصاً مستقلاً، ففضلاً عما ذكر سابقاً في محور النشاط الزراعي، يذكر ابن جبير في هذا الجانب: "وأما الأرزاق والفواكه وسائر الطيبات، فكنا نظن أن الأندلس اختصت من ذلك بحظّ له المزيّة على سائر حظوظ البلاد حتى حللنا بهذه البلاد المباركة، فألفيناها تعصّ بالنعم والفواكه: كالتين، والعنب، والرمان، والسفرجل، والخوخ، والأترج، والجوز، والمثقل، والبطيخ، والقثاء، والخيار، إلى جميع البقول كلها: كالباذنجان، واليقطين، والسُّلجَم، والجزر، والكرنب، إلى سائرها، إلى غير ذلك من الرياحين العَبقة، والمشمومات العَطِرة. وأكثر هذه البقول

كالبادنجان والقثاء، والبطيخ لا يكاد ينقطع مع طول العام، وذلك من عجب ما شاهدناه مما يطول تعداده وذكره. ولكل نوع من هذه الأنواع فضيلة موجودة في حاسة الذوق، يفضل بها نوعها الموجود في سائر البلاد، فالعجب من ذلك يطول⁽⁵⁶⁾.

يجد الباحث في هذه النصوص ما يغنيه عن التساؤل حول طبيعة الحياة التجارية في مكة، سيما في موسم الحج، خلال هذه الحقبة الزمنية التي تمت فيها رحلة ابن جبير، خاصة أنه نص شامل يتضمن معلومات عن كل ما يتعلق بالتجارة، من حيث أنواع السلع وحجمها وأماكن ورودها، إلى غير ذلك من تفاصيل، ولكن في الوقت نفسه، يجد الباحث أن هناك بعض الأمور التي تتطلب تفسيراً منها:

- لماذا لم يشر ابن جبير إلى أسعار أغلب هذه السلع؟ وهل يعني توافرها بهذا القدر والتنوع أن هذا التساؤل غير جائر على اعتبار أن توافرها سيجعلها بدهاءة في متناول الجميع؟ ومن ثم فلا أهمية لذكر سعرها؟

- ذكر ابن جبير أن السلع الغذائية في مكة، خاصة المتعلقة بالإنتاج الزراعي، توافرت في أسواقها من خلال الظهير الزراعي المحيط بمكة، أي من القرى والأودية المحيطة بها، ولكنه في الوقت نفسه يذكر أن هناك بعض المنتوجات الزراعية مثل: الباذنجان والبطيخ والقثاء متوافرة في أسواق مكة طوال العام؟ فكيف ذلك؟ وعلى الرغم من عدم تقديم ابن جبير جواب على هذا التساؤل، فإن هذه المنتوجات ربما كانت تُجلب بصحبة الحجاج في مواسم الحج والعمرة من أماكن مختلفة أثناء مرورهم بها، والتي بها مواسم زراعية مختلفة عن تلك الموجودة في مكة.

- أثنى ابن جبير أيضاً على طيب طعم المنتوجات الزراعية الموجودة في مكة، وأن من يتذوقها يجد لها طعمًا أفضل من أنواعها في سائر البلاد الأخرى.

وأشار ابن جبير إلى وجود سوق بين الصفا والمروة في مكة، ووصف هذا السوق وصفاً يدل على عظمته فيقول: "وما بين الصفا والمروة مسيل، هو اليوم سوق حافلة بجميع الفواكه وغيرها من الحبوب وسائر المبيعات الطعمية، والساعون لا يكادون يخلصون من كثرة الزحام"⁽⁵⁷⁾.

كما تحدث عن حوانيت التجارة والباعة حول هذا السوق، فيذكر أنها تنتشر على طول الطريق يميناً وشمالاً، وما لمكة سوق منتظمة سوى هذه السوق، إضافة إلى سوق البزازين⁽⁵⁸⁾ والعطارين، اللتين كانتا قائمتين عند باب بني شيبه تحت السوق المذكورة، وبمقربة منها حتى تكاد أن تتصل بها⁽⁵⁹⁾.

وعلق ابن جبير مستنكراً على أنه في أيام الموسم يصبح المسجد الحرام سوقاً كبيراً، رغم ما له من التشريف والتنزيه عند الله، إذ كان يُباع فيه: "من الدقيق إلى العقيق، ومن البُر إلى الدر، إلى غير ذلك من السلع، فكان الدقيق يُباع بدار الندوة إلى جهة باب بني شيبه، ومعظم السوق في البلاط الآخذ من الغرب

إلى الشامل، وفي البلاط الآخذ من الشمال إلى الشرق، وفي ذلك من النهي الشرعي ما هو معلوم، والله غالب على أمره، لا إله سواه"⁽⁶⁰⁾.

كما تحدث عن سوق مزدحمة أخرى تُقام في مشعر منى، وتكون عامرة في الثلاثة أيام التي يقيم فيها الحاج بمنى بعد يوم النحر لرمي الجمرات، ووصف ابن جبير هذه السوق بأنها من أعظم الأسواق، "حيث يُباع فيها من الجوهر النفيس إلى أدنى الحرز، إلى غير ذلك من الأمتعة وسائر سلع الدينار، لأنها -أي منى- مجتمع أهل الأفاق"⁽⁶¹⁾.

كما أبدى ابن جبير ملاحظته على التجارة في مدينة فيد، والتي كان لها تأثير على التجارة مع مكة من خلال الحجاج المارين بها، إذ كانوا يمارسون البيع والشراء مع أهلها، ويتركون بها زادهم حتى يعودوا⁽⁶²⁾. وبالإضافة إلى الملاحظات التي ذكرها ابن جبير حول الأماكن التي تُجلب منها البضائع إلى مكة والحجاز، مثل: الهند والحبشة والعراق والمغرب وخراسان، تطرق أيضًا إلى ذكر قبائل السرو، وقد وصفهم بأنهم "يمنيون"، ويبدو أن هذا الوصف غير دقيق لدى ابن جبير، فمن المعروف أن قبائل السرو هي القبائل التي تقطن منطقة جبال السراة إلى الجنوب من الطائف، أو ما يعرف اليوم بمنطقة الباحة، وابتوا من أهم مصادر التموين الغذائي لمكة⁽⁶³⁾.

فيذكر ابن جبير: "ومن لطيف صنع الله، عز وجل... أن قبائل من اليمن تعرف بالسرو، وهم أهل جبال حصينة باليمن تعرف بالسراة، كأنها مضافة لسراة الرجال، على ما أخبرني به فقيه من أهل اليمن يعرف بابن أبي الصييف، فاشتق الناس لهم هذا الاسم المذكور من اسم بلادهم، وهم قبائل شتى كنجيلة وسواها، يستعدون للوصول إلى هذه البلدة المباركة -مكة- قبل حلولها بعشرة أيام، فيجمعون بين النية في العمرة وميرة البلد بضروب من الأطعمة، كالحنطة وسائر الحبوب إلى اللوباء، إلى ما دونها، ويحلبون السمن، والعسل، والزبيب واللوز. فتجتمع ميرتهم بين الطعام والإدام والفاكهة. ويصلون في آلاف من العدد رجالاً وجمالاً موقرة بجميع ما ذكر. فيرغدون معاش أهل البلد والمجاورين فيه، يتقوتون ويدخرون، وترخص الأسعار، وتعم المرافق، فيعد منها الناس ما يكفيهم لعامهم إلى ميرة أخرى، ولولا هذه الميرة لكان أهل مكة في شظف من العيش"⁽⁶⁴⁾.

أضف هذا النص عنصراً آخر ممن يحيطون بمكة، يتولون ميرة أهلها والمجاورين بها، وهم أهل السراة، ويلاحظ ابن جبير أيضاً، أن هؤلاء المائرين لا يبيعون هذه الميرة بدينار أو بدرهم، وإنما يستبدلونها من أهل مكة بالعباءات والخرق والأقنعة والملاحف إلى غير ذلك مما يلبسه الأعراب⁽⁶⁵⁾. أي أنهم استخدموا أسلوب المقايضة في البيع والشراء.

لم يغفل ابن جبير أن يشير إلى أنواع النقود المستعملة في مكة خصوصاً، والحجاز على وجه العموم، وإلى الموازين والمكاييل أيضاً، إذ أشار إلى الدنانير والدرهم، فذكر - على سبيل المثال - أن سعر الخنطة بمكة كان قد سَوَّم الأربعة أصواع بدينار مؤمّني⁽⁶⁶⁾، وهي أوبتان من كيل مصر وجهاهما، والأوبتان قدحان ونصف قدح من الكيل المغربي، وهو سعر جيد في نظره في هذا الوقت: "هذا السعر في بلد لا ضيعة فيه ولا قِوام معيشة لأهله إلا بالميرة المجلوبة إليه سعر لا خفاء بيمنه وبركته على كثرة المجاورين فيها في هذا العام وانجلاب الناس إليها وتراذفهم عليها"⁽⁶⁷⁾.

وأشار ابن جبير أيضاً إلى العشور⁽⁶⁸⁾ الضرائبية التي تؤخذ من الحجاج، وذكر أن مقدارها سبعة دنانير ونصف دينار مصرية، التي تعادل نحو خمسة عشر ديناراً مؤمّنية على كل رأس، وألغاهما صلاح الدين، وقرر تعويض هذه الضريبة لأمير مكة بإرسال مبلغ سنوي، يعادل ألفي دينار، إضافة إلى ألفي أَرْدَب⁽⁶⁹⁾ من القمح⁽⁷⁰⁾.

رابعاً. النشاط الصناعي في مكة:

انعكس ازدهار النشاط الزراعي والتجاري في مكة خصوصاً والحجاز عموماً على النشاط الصناعي، إذ لاحظ ابن جبير الكثير من التفاصيل حول بعض الصناعات الغذائية في مكة ودونها في رحلته، حيث شرح طريقة صنع الرطب بوصف مفصل، بداية من خروج الناس لجمع الرطب بعد نضجه، ثم يوزع منشوراً على الأرض حتى يجف قليلاً، ثم يوضع بعضه فوق بعض في السلال والظروف ويرفع⁽⁷¹⁾.

كما ذكر ابن جبير أيضاً العسل المسعودي، وهو عسل معروف بوجوده عند أهل مكة، وقال عنه إنه "أطيب من الماذيّ المضروب به المثل"، ويقصد به العسل الأبيض الرقيق، ويعود إلى بني مسعود من قبيلة هذيل⁽⁷²⁾ في شمال شرق مكة المكرمة بوادي نخلة⁽⁷³⁾.

وكذلك لاحظ ابن جبير من الصناعات الغذائية صناعة اللبن وأنواعه المختلفة، وما يصنع منها من السمن الذي وصفه بالطيب والحسن، أضف إلى ذلك حديثه عن قصب السكر، والذي كان يجلب إلى مكة من القرى المحيطة بها، والتي تنتج البقول، هذا إلى جانب الحلوى التي يُصنع منها أنواع مختلفة الأشكال من العسل والسكر المعقود، وفي ذلك يذكر ابن جبير: "إنهم يصنعون بها حكايات جميع الفواكه الرطبة واليابسة... وقد صورت منها تصاوير إنسانية وفاكهية، وجُليت في منصّات كأنها العرائس، ونُصّدت بسائر أنواعها المنصّدة الملوّنة، فتلوح كأنها الأزاهر حسناً، فتقيّد الأبصار وتستنزل الدرهم والدينار"⁽⁷⁴⁾.

وأثناء وصفه الحرم المكي، حدد ابن جبير بعض المواضع التي يُطلق عليها أسماء القائمين بالحرف، مثل: باب التّمّارين، وباب الدقاقين، وباب الفسانين، وباب الحلقيّين فضلاً عن سوق العطارين الذي أشرنا إليه سابقاً، وسوق البزازين⁽⁷⁵⁾.

تحدث كذلك ابن جبير عن بلاط الحرم الخارجي الممتد من الغرب إلى الشمال، ويتصل بجدار هذا البلاط مصاطب، كان يجلس فيها النسّاخون والمقرؤون والخباطون، كما أن حلق المعلمين انتشرت في الحرم من كل جانب (76).

وتعد مدة مكوث ابن جبير في مكة التي قاربت ثمانية أشهر، إذ دخلها في 13 ربيع الآخر سنة 4/579 أغسطس 1183م، وغادرها في 22 ذي الحجة 579هـ/5 أبريل 1184م، مدة كافية ليمدنا بمجموعة من المعلومات الاقتصادية المهمة، التي يمكن من خلالها فهم طبيعة الحياة الاقتصادية في مكة في أواخر القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، إلا أنه - وفي الوقت نفسه - ضمن علينا بالحديث عن جوانب اقتصادية مهمة، مثل: طبيعة التعاملات المالية، والحوالات، والصكوك، وبيع الأوقاف. كما أن المعلومات التي ذكرها عن أسعار السلع والصناعات، والطوائف الحرفية، والضرائب المفروضة، كانت قليلة ومجملتها على وجه العموم.

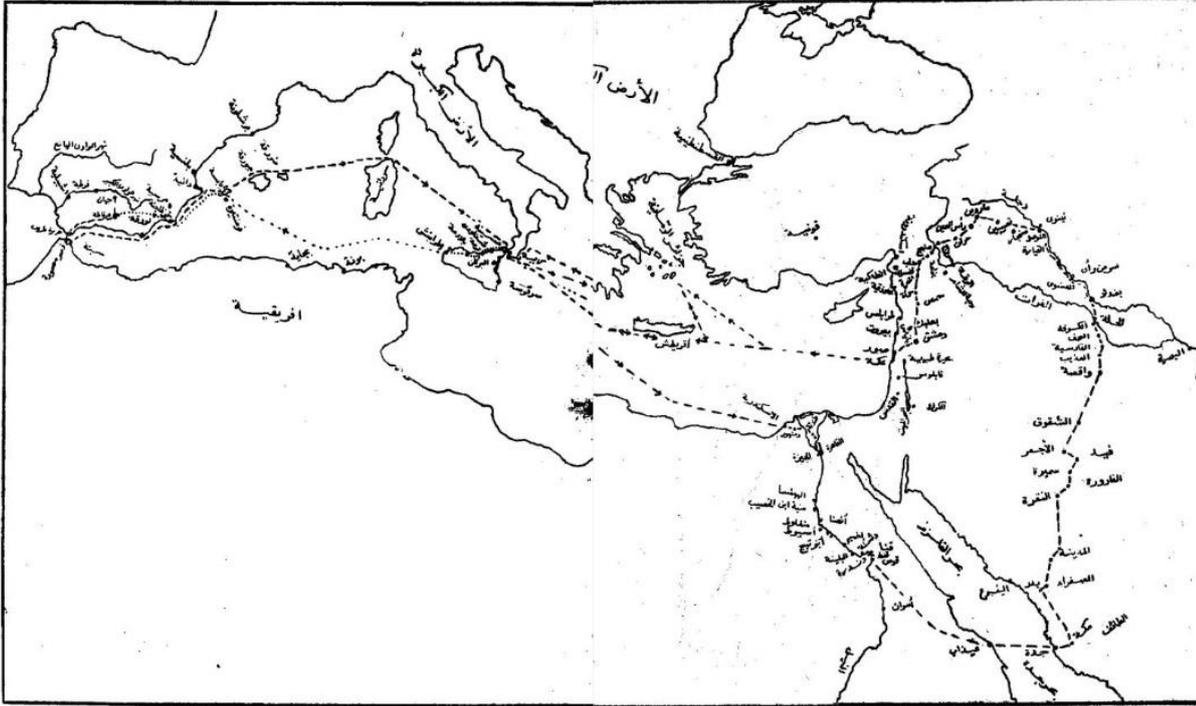
الخاتمة:

استعرض البحث في الصفحات السابقة أبرز الملاحم الاقتصادية لمكة من خلال رحلة ابن جبير الكنايني التي قام بها في سنة 579هـ/1182م، وأمكن الوصول إلى عدد من النتائج أبرزها:

- تكمن قيمة هذه الرحلة في رصد معلومات بالغة الأهمية عن مكة في العقود الأخيرة من القرن السادس الهجري، وأثبتت أن مكة كانت تشتمل على عدد من الأنشطة الاقتصادية المعتبرة.
- وصل الإنتاج الزراعي إلى مستوى مُرضٍ لفئات السكان في أغلب الأحيان، وانعكس ذلك على الأسعار التي كانت معقولة في هذه الفترة، على حد تقدير ابن جبير، فضلاً عن أنه لم تظهر موجات الغلاء كالتي نسمع عنها في الرحلات الأخرى.
- انعكس توفر السلع الزراعية على رواج التجارة وازدهارها في مكة في الفترة نفسها، حيث باتت مكة مركزاً تجارياً كبيراً خاصة في موسم الحج، تستقبل كميات ضخمة من البضائع بجميع أشكالها، سواء السلع والبضائع المصنّعة، أو السلع الغذائية والمحاصيل الزراعية، والفواكه، والخضروات، وغيرها.
- يعد الظهير الزراعي لمكة من القرى والأودية المحيطة، المصدر الأول الذي يغذيها بالسلع الزراعية، فضلاً عن أهل جبال السراة أو السرو، حيث كانوا يقدمون لمكة ميرتها سنوياً وبصورة منتظمة، ولا يتقاضون مقابلها نقوداً معدنية، وإنما كانوا يقايضونها مع أهل مكة بالملابس والأدوات التي يحتاجونها.
- تعد الذخائر النفيسة مثل: الجواهر، والياقوت، وسائر الأحجار، من البضائع الرائجة في مكة، وأيضاً أنواع الطيب: كالمسك، والكافور، والعنبر، والعود، والعقاقير الهندية، مما كان يُجلب من الهند والحبشة، والعراق وخراسان.

- أشار ابن جبير إلى العملات المتداولة في مكة خلال هذه الفترة، والتي تركزت في الدنانير والدراهم المصرية، وذكر قيمتها بالمقارنة مع الدنانير المؤمنية التي كانت سائدة في الدولة الموحدية بالمغرب، إذ قدر قيمة الدينار منها بنصف قيمة الدينار المصري.
- انعكس النشاط الزراعي والتجاري المزدهر في مكة على النشاط الصناعي أيضاً، حيث توافر بها أغلب الحرف، من البزازين والعطارين والنجارين والدقّاقين والنسّاخين وغيرهم.
- على الرغم من عدم إشارة ابن جبير إلى التنظيمات الحرفية في مكة، فإنه يفهم ضمناً من حديثه حول الحرفيين مثل: البزازين والعطارين والنجارين والدقّاقين والنسّاخين بأن لهم طوائف حرفية معينة ينتظمون فيها، إذ كانت لهم حوانيت قائمة حول المسجد الحرام في مكة، هذا إلى جانب صانعي المواد الغذائية من الخبّازين والطباخين وصانعي الحلوى وغيرهم.

ملحق (1)



خط سير رحلة ابن جبير 579هـ/1182م

انظر الخريطة: محمد بن جبير الكناي، رحلة ابن جبير، تحقيق: حسين نصار، (القاهرة: جامعة القاهرة، د.ت)، 365.

حواشي البحث:

- (1) جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ط2، (بيروت: دار العلم للملايين، 1984م)، ص316.
- (2) أبو الريحان محمد البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرزولة، (حيدر آباد: مجلس دار المعارف العثمانية، 1958هـ)، ص1.
- (3) طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري، ديوان طرفة ابن العبد، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، ط3، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1423هـ/2002م)، ص20.
- (4) قوص: مدينة كبيرة واسعة، وتعد قصبه صعيد مصر، وبينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوماً، وهي محط التجار القادمين من عدن. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، (بيروت: دار صادر، 2010م)، ج4، ص413.
- (5) عيذاب: بلدية على ضفة بحر القلزم، وهي مرسى المراكب التي تقدم من عدن إلى الصعيد. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج4، ص171.
- (6) انظر خط سير الرحلة في ملحق رقم (1).
- (7) أبو محمد علي بن سعيد ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، نشر وتحقيق: ليفي بروفنسال، (القاهرة: دار المعارف، 1948م)، ج1، ص10.
- (8) أبو عبد الله بن محمد لسان الدين الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 142هـ)، ج2، ص146. بلج بن بشر بن عياض القسري، أحد قادة الفتح الإسلامية الذي سيره الخليفة هشام بن عبد الملك على مقدمة جيش كبير مع عمه كلثوم بن عياض إلى أفريقية. وكان قد دخل الأندلس وتولى حكمها أحد عشر شهراً، واستشهد سنة 125هـ. أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محب الدين أبي سعيد العمري، (بيروت: دار الفكر للطباعة، د.ت)، ج10، ص395-396؛ محي الدين محمد بن عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد زينهم عزب، (القاهرة: دار الفرجاني، 1994م)، ص20.
- (9) أبو عبد الله محمد ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، (بيروت: دار الفكر، 1995م)، ج2، ص109؛ ابن العماد الحنبلي، عبدالحى بن أحمد بن محمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرنؤوط، (دمشق: دار ابن كثير، 1406هـ/1986م)، ج5، ص59.
- (10) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ط2، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1993م)، ج49، ص82.
- (11) جمال الدين أبو الفرج علي بن محمد ابن الجوزي، صيد الخاطر، اعتناء: حسن المساحي الويدان، (دمشق: دار القلم، 2004م)، ج1، ص14؛ أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، (الرباط: أكاديمية المملكة المغربية، 1417هـ)، ص142.
- (12) شاطبية: إحدى مدن شرق الأندلس الكبيرة، وتمتاز بكثرة ثمرها وطيب هوائها. وهي من أعمال بلنسية. انظر: محمد بن محمد الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (بيروت: عالم الكتب، 1989م)، ج2، ص556؛ عبد

- الملك ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، تحقيق: أحمد مختار العبادي، (مدريد: معهد الدراسات الإسلامية، 1971م)، ص96؛ زكريا محمد بن محمود القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، (بيروت: دار صادر، د.ت)، ص539.
- (13) المحسن بن علي بن محمد التنوخي، مشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، (د.م: د.ن، 1391هـ)، ج7، ص598.
- (14) ابن الآبار، التكملة، ج2، ص109؛ أبو عبد الله بن محمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد، ط9، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1993م)، ج16، ص81. بلنسية: مدينة قديمة في شرق الأندلس، وإحدى القواعد المهمة، ذات خطة فسيحة، جمعت خيرات البر والبحر والزرع والضرع، طيبة التربة، بنيت فيها الزعفران، الإدريسي، نزهة المشتاق، ج2، ص556.
- (15) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج5، ص59، ج7، ص110.
- (16) ابن الآبار، التكملة، ج2، ص110؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص239؛ شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، ط5 (بيروت: دار صادر، 2008م)، ج2، ص382.
- (17) أبو عبد الله بن محمد بن عثمان الذهبي، العبر في خبر من غير، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ج3، ص163.
- (18) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج22، ص45-46.
- (19) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج22، ص46؛ المقرئ، نفع الطيب، ج2، ص384-387. وغرناطة: مدينة قديمة بقرب البيرة من أعمال الأندلس، وصفت بعروس الأندلس، ومعناها رقانة بلغة الأندلسيين، وسميت بذلك لحسنها وبديع صناعتها. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج4، ص195؛ القزويني، آثار البلاد، ص574.
- (20) أبو العباس أحمد بن القاضي، جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام في مدينة فاس، (الرباط: دار المنصور للطباعة، 1973م)، ج1، ص278؛ المراكشي، المعجب، ص189؛ ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، ط4 (القاهرة: دار المعارف، 1993م)، ج2، ص384.
- (21) الذهبي، العبر، ج3، ص163.
- (22) محمد بن محمد عبد الملك الأنصاري المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: إحسان عباس وآخرون، (بيروت: دار الثقافة، د.ت)، ج1، ق1، ص80؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص231؛ تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي، ذيل التقييد في ذيل السنن والأسانيد، تحقيق: كمال يوسف الحوت، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1990م)، ج1، ص41-42.
- (23) أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبّير، تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، (بيروت: دار صادر، د.ت)، ص5-6.
- (24) ابن جبّير، تذكرة بالأخبار، ص6.
- (25) أغناطيوس كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة: صلاح الدين هاشم، (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1383هـ/1963م)، ق1، ص301.

- (26) زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، التكملة لوفيات النقلة، حققه وعلق عليه: بشّار عواد معروف، ط2، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1401هـ/1981م)، ج2، ص407.
- (27) سورة إبراهيم، آية: 37.
- (28) المثل: هو شجرة الدّوم، فهو حملُ الدّوم، ومفرده مُثْلَة. والدّوم شجرة تشبه النخلة في حالاتها، قال أبو حنيفة: المثل الصمغ الذي يسمى الكور، وهو من الأودية. انظر: محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، 1414هـ)، ج11، ص628.
- (29) ابن جبّير، تذكرة بالأخبار، ص97.
- (30) ابن جبّير، تذكرة بالأخبار، ص99.
- (31) ابن جبّير، تذكرة بالأخبار، ص99.
- (32) ابن جبّير، تذكرة بالأخبار، ص99.
- (33) ابن جبّير، تذكرة بالأخبار، ص99.
- (34) ابن جبّير، تذكرة بالأخبار، ص98.
- (35) ابن جبّير، تذكرة بالأخبار، ص99.
- (36) ابن جبّير، تذكرة بالأخبار، ص99.
- (37) لعل هؤلاء المغاربة ممن بقوا من قوافل الحجيج ، وأقاموا بالمنطقة وعملوا فيها، ويبدو أنهم كانوا يحافظون على بعض الخصائص التي تميزهم عن غيرهم من العناصر، ومن ثم عرفهم ابن جبّير وأطلق عليهم المغاربة.
- (38) ابن جبّير، تذكرة بالأخبار، ص99.
- (39) ابن جبّير، تذكرة بالأخبار، ص99.
- (40) وادي مَرّ: أحد الأودية المحيطة بمكة، على بعد خمسة أميال منها، وبه عيون كثيرة ونخيل. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج5، ص104.
- (41) عُسْفَان: بلدة عامرة تقع شمال مكة على ثمانين كيلاً على الحجة إلى المدينة، بما آبار عذبة قديمة مخصصة. انظر: عاتق بن غيث البلادي، معجم معالم الحجاز، ط2، (مكة: دار مكة للنشر والتوزيع، مؤسسة الريان، 1431هـ/2010م)، ج6، ص1151.
- (42) البركة: هي عبارة عن مساحة دائرية يتوسطها عمود أسطواني لحساب درجة المياه، والهدف منها خزن المياه، وتوزيعها بشكل ملائم للمناطق الزراعية المحيطة.
- (43) ابن جبّير، تذكرة بالأخبار، ص162-163.
- (44) ابن جبّير، تذكرة بالأخبار، ص164-166.
- (45) الصهريج: مفرد جمعها صهاريج، وهي أحواض كبيرة لتجميع الماء، وتكون ملبسة بالرصاص. انظر: إبراهيم مصطفى وآخرين، المعجم الوسيط، (القاهرة: دار الدعوة، 1989م)، ج1، ص224؛ رينهارت بيتر دوزي، تكملة

المعاجم العربية، نقله إلى العربية: محمد النعيمي وآخرون، (العراق: وزارة الثقافة والإعلام، 1979-2000م)، ج9، ص197.

- (46) ابن جبّير، تذكرة بالأخبار، ص102.
- (47) ابن جبّير، تذكرة بالأخبار، ص99.
- (48) ابن جبّير، تذكرة بالأخبار، ص150.
- (49) ابن جبّير، تذكرة بالأخبار، ص163.
- (50) وادي العروس: أحد الأودية المشهورة بعد اجتياز منطقة تامة في اتجاه نجد. ابن جبّير، تذكرة بالأخبار، ص162.
- (51) ابن جبّير، تذكرة بالأخبار، ص181.
- (52) فيند: منزل بطريق مكة، يودع الحاج فيها أزوادهم وما يتقل من أمتعتهم عند أهلها، فإذا رجعوا أخذوا أزوادهم ووهبوا لمن أودعوها شيئاً من ذلك، وهم مغوثة للحاج في هذا الموضع المنقطع، ومعيشة أهلها من ادخار العلوفة طول العام إلى أن يقدم الحاج فيبيعونه عليهم. انظر: ياقوت، معجم البلدان، 4: 282.
- (53) ابن جبّير، تذكرة بالأخبار، ص183.
- (54) ابن جبّير، تذكرة بالأخبار، ص96.
- (55) ابن جبّير، تذكرة بالأخبار، ص97.
- (56) ابن جبّير، تذكرة بالأخبار، ص972. يلاحظ على النص الذي أورده ابن جبّير عدم تفرقة بين الفواكه والبقول والخضروات. فأدرج الخيار مع الفواكه، والباذنجان والجزر والكرنب مع البقول.
- (57) ابن جبّير، تذكرة بالأخبار، ص85.
- (58) البزازين: مفردها البزاز، والبز هو الثياب، أي أن البزاز هو بائع الثياب. انظر: ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم ابن علي، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، 1414هـ) ج1، ص274.
- (59) ابن جبّير، تذكرة بالأخبار، ص85.
- (60) ابن جبّير، تذكرة بالأخبار، ص160.
- (61) ابن جبّير، تذكرة بالأخبار، ص157.
- (62) ابن جبّير، تذكرة بالأخبار، ص183.
- (63) رتيشارد تي مورتيل، دراسات في تاريخ مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة في العصر الإسلامي الوسيط، ترجمة وتعليق: محمد بن عبد الله الفريح، (الرياض: مركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة، 1435هـ/2014م)، ص85.
- (64) ابن جبّير، تذكرة بالأخبار، ص110.
- (65) ابن جبّير، تذكرة بالأخبار، ص111.
- (66) الدينار المؤمني: نسبة إلى عبد المؤمن بن علي، مؤسس الدولة الموحدية (527-558هـ/1133-1163م).
- (67) ابن جبّير، تذكرة بالأخبار، ص100.

- (68) العصور: سميت في الجاهلية المكوس، وهي دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الأسواق في الجاهلية. ولما جاء الإسلام سميت العصور، وهي ما يأخذه العاشر من أموال، أي ما تفرضه الدولة على أموال التجارة الصادرة من البلاد والواردة إليها، وينفق منها على مصالح المسلمين. ابن منظور، لسان العرب، ج6، ص220.
- (69) الأزدب: هو مكيال ضخّم لأهل مصر، وهو أربعة وعشرون صاعًا بصاع النبي صلى الله عليه وسلم، والجمع أزداب، ومقداره عند جمهور العلماء 48.96 كيلو جرامًا تقريبًا. انظر: علي جمعة محمد، المكاييل والموازين الشرعية، (القاهرة: القدس للنشر والإعلان، 1421هـ/2001م)، ص39.
- (70) ابن جبّير، تذكرة بالأخبار، ص31.
- (71) ابن جبّير، تذكرة بالأخبار، ص100.
- (72) هذيل: إحدى قبائل الحجاز المهمة، وتنقسم لقسمين شمالي وجنوبي، وتقع ديار القسم الشمالي في أطراف مكة من جهة الشرق والجنوب، وبالأخص في أطراف مكة والطائف. أما القسم الآخر: فيسمى هذيل اليمن. انظر: عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط7 (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1414هـ/1994م)، ج3، ص1213.
- (73) ابن جبّير، تذكرة بالأخبار، ص98.
- (74) ابن جبّير، تذكرة بالأخبار، ص98.
- (75) ابن جبّير، تذكرة بالأخبار، ص82-83، ص85.
- (76) ابن جبّير، تذكرة بالأخبار، ص86.

